

من الذاكرة الأحسائية . الحرب العالمية الثانية و صداها في الأحساء .

و قد يعزى ذلك لموقعها المتميز و كونها مركزا من مراكز التجارة القديمة و أنها تمتلك مستودعها ضخما لتاريخ طويل يلامس السبعة آلاف سنة قبل الميلاد .

و لا بد أن يكون لحدث مهم جدا كالحرب العالمية الثانية (1939م – 1945م) , ألفت بظلالها على كافة أصقاع الأرض , أن يلقي بشيء منها على الأحساء و تؤثّر فيها .

و مع أن الأحساء و منطقة الخليج بشكل عام , لم تكن ميدانا لمواجهات مباشرة بين طرفي الحرب (الحلفاء و المحور) كمصر مثلا التي شهد غربها , معركة مفصلية هي معركة العلمين

إلا أن الغوّاصات العسكرية الألمانية , كانت تقترب من الخليج العربي , و تهدد بطوربيداتها السفن التجارية الأوروبية , خاصة الإنجليزية , و التي تحمل تجارات الهند إلى المحميات الإنجليزية في الخليج , و موانئ شرق الجزيرة العربية و منها العقير ميناء الأحساء النشط حينها .

و لندع ذاكرة الآباء تصف الأحوال المعاشية و كيف أثّرت الحرب على الأحساء و مدن الجزيرة العربية الأخرى ..

لقد انشلت حركة البيع و الشراء و تبادل السلع , فأثّر ذلك كثيرا على حركة الميناء النشطة و التي يصفها أحد الرحّالة (القسّ صمويل زويمر عام 1904 عندما زارها قبل تلك الفترة مطلع القرن العشرين فيقول : (و في ميناء العقير كانت الحركة لا تهدأ , فأكثر من ثلاثين سفينة كان الحمّالون ينزلون منها بضائع ضخمة , وكانت البضائع المتنوّعة تحمل على ظهور أكثر من ألفي جمل في بداية الصّباح الباكر)

و يقول الحاج عبد المحسن بن محمد المؤمن- بو علي - (بينما كانت القيصرية تمتلأ بالخيرات , من الأرزاق و الحبوب لم يكن متاحا في سنيّ الحرب إلا سمك العوم , البصل , و نوع آخر من السمك الكبير المجفّف , المجلوب من عمان , ومع ذلك كان يباع بأسعار مرتفعة , مما اضطر الباعة إلى تقطيع ذلك السمك إلى قطع صغيرة , كي يتمكنّ الأهلون من شرائه على ضوء إمكانياتهم المحدودة جدا حينها .

و كان يصل نوع ردئ من الأرز المصري يصعب طبخه إلا بعد الحمس أو القلي !!

و كذلك عمد بعض التجّار إلى إخفاء البضائع , حتى التمور التي كانت عماد الغذاء ذلك الوقت) .

يضيف الشيخ حسن البقشي - أبو منير - :

(بان الجوع الذي كان شديدا في أعين الفقراء , صار عاما على الجميع حتى أبناء الطّبقات الأغنى , و كسدت التجارات لعدم توفّر البضائع المطلوبة)

و يقول الحاج بو محسن الهودار

(جدد بعض التجار التمور و أنكروا امتلاكه , وارتفعت الأسعار بشكل جنوني , حتى وصل سعر المنّ من تمر الرزير الذي كان قوام التمر في الأحساء إلى 150 ريال فضة عربي !!! و كنّا نجده بصعوبة شديدة جدا ! و ربما ننتقل من فريج إلى آخر للحصول على نصف رُبعة منه)

و من الطواهر المرتبطة بالكساد , البطالة حيث فلاّت فرص العمل و كان الباحثون عن العمل يفرضون أنفسهم على أرباب الأعمال التي ربما , ضاقوا بهم , كان ذلك في الغالب مقابل كفّ من التمر أو ما يسدّ الرمق فقط !! و كان تلك الأجرة البخسة يقتسمها الأجير بينه و بين زوجته و عياله !.

و كان موسم صرام التمور من المواسم التي تتوفر فيها فرص العمل أكثر , فيتّجه الكثير من سكان الواحة

و نظرا لشدّة الحاجة كان الأجير يحرص على (تكريب النخلة) و هو التقاط ما يعلق بين كرب النخل من تمر بواسطة شوكة سعف النخيل التي تكون في الغالب حادة جدا , و هو كمّيات ضئيلة قد يتسامح المالك في أن يقوم الأجير في أخذها لنفسه .

و يلتحق بأهالي الواحة الكثير من البدو رجالا و نساء للعمل مقابل شيء من التمر لسدّ الرمق ,

حيث كانت الفاقة و الفقر لديهم أكثر وضوحا , و كانت بعض نساء البدو يحملن من حاجتهنّ من عطن الإبل و الخيل , الذي كان يستخدم لشعلة للتدفئة أو الطبخ لبيعه في مدن الواحة .

و نظرا لتوقف الاستيراد , اثر ذلك على استيراد الأقمشة , ففقدت من الأسواق و زادت أسعارها , و مع تلك الزيادة , لم يكن متيسراً للأغلب اقتناء الثياب , حتى قيل أن " من يتجه للسباحة في العيون أو الشرائع , كان يضع عينيه على ثيابه خشية سرقتها وكان أغلب النساء يكتفين بثوب واحد من القطن الأحمر الغامق غالبا .

و لأن الفقر و الحاجة طالت , الأغنياء أيضا فقد اضطرر الكثير لبيع عقاراته و نخيله أو رهنها مقابل أثمان بخسة مضافا , للمقتنيات المنزليّة و الحالي و غيرها , و التي حتى إذا عرضت لن تجد الكثير من الزبائن لشرائها بسبب ندرة النقد في أيدي الناس في تلك الأزمنة .

و نظرا لتلك الحالة الشديدة من الحاجة ظهرت حالات من السرقة هدفها تمور النخيل التي تقصد ليلا , لصرمها .

و من الطواهر التي انتشرت التسوّل و قد يكون مغلّفا بأشكال عديدة , ومنها الشعراء و المدّاحون الذين يقصدون أرباب المجالس , فيتلون قصائد في مدح النبي الأكرم , وسيرته , و صاحب المجلس , و قد يكون شعرهم ركيكا أو صفا , قد يتناولون في مجلس واحد على ما ذكر و تكون مكافأتهم شيئا من التمر , و عندما كانوا يتكاثرون على صاحب المجلس أو يضيق به الحال , فيفرّ منهم رب المنزل .

و هنا لا بد من ذكر الأبياد البيضاء لبعض المحسنين من ملاك النخيل الذين كانوا يبذلون كميات كبيرة من نتاجاتهم , و من أهمّهم بعض آل خليفة (بني لام) الذين هم من كبار ملاك النخيل في المديّرة بل في الأحساء , كان لشيخهم الشيخ محمد الخليفة (والد الشيخ حسين الخليفة) , أباد بيضاء إبان الحرب العالمية الأولى , و كذلك كان بعض ملاك النخيل يتغاضى عن سرّاق التمر , نظرا لمعرفته باحتياجهم الذي دفعهم لذلك , فيعفوا عنهم و ربما ساعدهم !

تدخّل الدولة :

و للحفاظ على الأمن الغذائي , تدخّلت الدولة فحصرت تجارة التمور على الدولة , للحفاظ على وجوده متاحا للمواطنين , فصارت الإمارة تستدعي ملاك النخيل لمعرفة على من باعوا التمور , عبر موظفين ليسوا من المنطقة لمنع التواطؤ ,

البطاقة التموينية :

و لضمانة وصول المواد الغذائية الرئيسة, وفّرت الدولة كميات من الحنطة , السكر تباع بشكل مقنن عن طريق بلدية الأحساء .

و قد كانوا يستعينون بعدد من باعة القيصرية للقيام بوزن تلك الكميات بشكل دوريّ .

كما كانت تقوم بجولات تفتيش على الأسواق , لمنع التخزين المفضي لرفع الأسعار .

و في ذلك يصف الحاج علي بن أحمد السلطان العلي :

(أدركت هذه الحالة طفلاً , فكنت أخرج بعد صلاة الفجر للوقوف في طابور الحنطة , و كان مسموح لنا بالشراء بريال فقط , و كان هناك يوم مخصص للحنطة و يوم آخر مخصص للسكر و كان السكر - السكر كما يسمّيه الأحسائيون - أحمر اللون و كان الطابور يستهلك جلّ اليوم) .

و حمرة اللّون و هي كون السكر في الغالب مصنّج من البنجر السكري و هو أحمر اللّون و تستخدم مواد مؤكسدة في تبييضه , وجدت مؤشرات تشير إلى ضررها .

و يعلّق الحاج علي بن عبد الوهاب المرزوق - أبو سعيد - (كان الكدّاد (الأجير) لا يعمل في اليوم الذي يقف فيه للطابور لأن الطابور سيستهلك جلّ يومه) .

و يضيف الحاج محمد بن علي العبد الوهاب البقشي (كذاً في تلك الفترة نقيم في الكاظمية نظراً لعمل والدي في الخياطة هناك , فكذا نحصل على التموين عن طريق السفّارة السعودية التي قيّدنا في سجلاتها , عبر أعيان السفارة السعودية في بغداد كالحاج ياسين الأمير , حسن بن محمد البقشي و غيرهم و كان قوامها الحنطة و السكر الأحمر و بعض الأرز) و قد كان الأهالي يطحنون نوى التمر لصنع نوع من البسكوت اخترعته حاجتهم) .

و كان إصدار البطاقة التموينية , و تفاعل الناس معها و تفهّمهم لدورها في تنظيم معاشهم , يدلّ على حالة وعي و مسؤولية من المسؤول و المواطن حينها .

هجرة البعض :

نظرا للضيق المعيشي حاول البعض هجر الأحساء لمناطق أفضل معاشا إلا أنهم فوجئوا أن حال تلك المناطق أو الدول ربما كان أسوأ حالا من وضعهم في الأحساء .

لطيفة :

و من ذلك ما رواه الأستاذ حسن الصويلح عن بعض البنّائين من قريته , الذين قصدوا البحرين هربا من الجوع , فنزلوا بيتا في المنامة إلا أنهم وجدوا الحال في البحرين أشدّ ضيقا , الوضع أكثر عوزا , و بينما هم في يندبون حالهم من الجوع , طرقت متسوّل هوليّ الباب و بيده قدر كان يجمع فيه فضلات الطعام من بيوت بعض الموسرين و فاحتال أحدهم , و رفع شيئا من تلم الأطلعمة لنفسه و أصدقائه و وضع صخرة مكانها و نثر عليها شيئا من الأرزّ و قدّمها من وراء الباب , فعندما شعر المتسوّل بثقل القدر صار يقفز من الفرح و يقول بلهجته الهوليّّه : مشكور أمّمي (عمّمي) !!!

الشعر يصف حال الناس أثناء الحرب :

إذا كان الشعر ديوان العرب يصف حياتهم أفراحهم و اتراحهم , و يسطّر قيمهم و ربما امتاز الشعر الشعبي بأنه ينفذ في دهاليز قد لا تصل إليها مرامي الفصيح أحيانا , و هنا قد تبدو ألفية , الشاعر ملا مهدي انتيف* , هو من خطيب و أديب قطيفي ممن يحيي المناير في الأحساء , و مدن الخليج الأخرى حال الناس في تلك الفترة فتمثّل تلك المنظومة عدسة صادقة بلا رتوش :

الألف باء نبتدي و بنور طه نهتدي

نهج الشريعة نفتدي يا فتّاح و أنت الذخر .

البا بلايا تجامعت و تألّبت وتفازعت

منها الأنام تواضعت يا فتّاح يا مقتدر .

التا ترامت بالنبل مثل السحاب من تهلّ

صار الخلق منها جنل كلمن صاح ربي انتصر .

الثا ثواكل بالحزن تشكي عواكيس الزمن
منها تغير كل حسن صكّن راح و ابدن ستر .
الجيم جاوب و استمع و يال لتستمع لا تفتجع
من الصبر خذ لك درع صح يا صاح ما ذا الخبر
قال الحا حلالة الكلّ ذهب من درّ لولو لو ذهب
فضّه عجمها و العرب فقرا صار برّ و بحر !
و الخا خزانات السكك هالهم تعلّوا للفلك
تحويل حتى الكل هلك و الكلّ صاح ربي انتصر !.
الذال دبّر و انهزم سعد الخلق عرب و عجم
صار الملك و بالخدم كلاش واحد دمّة بحر !
الذال ذلّت و اندهت الابواب كلها تضنّكت
كلما عالجه يممّت عمرن راح ذلّ و قهر !
الرا رزايا مالها حدّ لا حساب يحيطبها وعدد !!
ما احّد تشوفه لأحد حتى الصاحب صدّ و نفر!!
و انسى زمان اللي ترى البايع خساره و الشرى

الاثنين تمشي على وري و الكلّ صاح رب انتصر !

و السين سعر بالبلا كلّ الثمر منها نغد

أوّل من أقساط العدد كلّ راح ما ظلّ قصب !!

و الشين شيبّ كل فتى .. و إلبمرا يرفت رفّته .

أوال بأقساط العدد آنا سته قلّته

قايم طاح أنه عشر .

و الصاد صامت عالجا و الحال منها ما اختفى

الاكثر بالرويد اکتفى وناس ملاحه ماي وجزر

و الطا طغى المبخر طوى حاشا حشاها من الجوى

مساكين يا اهل النخلوه طير جناح منّه انكسر

و الطا طواهر هالتشفّ بيك اليم ثوبه يهف

لا يعجبك مثل الطرف قط السلاح و اخذه أسر .

والعين عامت بالبلا بعد المعزّه الأوّلى

من بعد ما مدّلله عمرّ راح ذلّ و قهر .

و الغين غالبها أشكره الفقرا بجيشه وعسكره

و بـيرق سـعدـها كـسـره و مـهـما طـاح رـاح الـسـتر

و الـفا فـشل اـحـكي اـحـكي و مـن غـير رـايـة تـشـتـكي

مـسـنـد فـلا لـم تـشـتـكي عـمـر رـاح ذـل و قـهـر .

و الـقـاف قـامـت عـالـحـزن صـبـح و مـسـا تـشـكـي الـغـيـن

خـلـص عـلـى بـيـع و رـهـن

و الـمـيـم مـن قـلّ الـفـلس طـلّـق مـلـذـات الـذـفـس

رـاح الـتـمـر قـلـنا الـدـيـس يـا فـتـح يـا مـقـتـدر .

و الـلام لـو كـان الـصـعـف بـيـلاد و حـده يـنـعـرف

إـن كـان اـهـالـيـها تـشـف و الـكـلّ صـدّ عـنـها و نـفـر

و الـذـنـون نـرـجـو لـلـرـجـا و الـمـشـتـكا و الـمـلـتـجـا

ضـيـق الـخـلـايـق فـرّجـا تـردّ الـرـاح بـرّ و بـحـر .

و الـيا يـمـن شـانـه عـلـي بـالـمـصـطـفـى الـهـادـي و عـلـي

يـسـر الـمـهـدي بـن عـلـي مـنـين يـمـهـى مـيـسـر .

أنتيف : ملا مهدي ملا علي انتيف (من مواليد الخويلدية ، عام 1321هـ ، من خطباء المنبر الحسيني عرفته ، مناير القطيف و الأحساء و البحرين ، و كان أديبا شاعرا ، امتاز بتوظيف موهبته الشعرية في تأريخ الحوادث التي عايشها مثل ما ذكر سالفا ، و له ديوان شعر ولائي اسمه (جواهر الأفكار في رثاء الأئمة الأطهار)

و قد اتصل بملوك المملكة العربية السعودية , و الخليج فمدح الشيخ علي آل ثاني , و له قصيدة عزائية خاطب بها المغفور له الملك المؤسس عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود (1373هـ) بمناسبة وفاة سمو الأمير عبد الوهاب بن جلوي (ت 1354هـ) . مطلعها :

اعزّي ناصر الدين في بطل

يحمي الثغور و لولاه غدت فرقا .

اعزّي سلطان نجد و الحجاز و قل

يا سيد العرب يا من بالهدى نطقا .

و قد توفّي ملا مهدي انتيف , عام 1411هـ .

شكرا جزيلا للروائيين الذين استفدت منهم :

1- الراوية الحاج علي بن عبد الوهاب المرزوق - أبو سعيد -

2- الشيخ الحاج حسن بن علي البقشي - أبو منير - .

3- الحاج محمد بن علي العبد الوهاب البقشي . - أبو علي -

4- الحاج علي بن محمد المؤمن . - أبو علي -

5- الأستاذ حسن الصويلح .

6- الحاج علي بن أحمد السلطان العلي . - أبو محمد -

7- الحاج محمد الهودار - أبو ملا محسن -

